الحياة الفكرية في الأندلس

من خلال النشاط الفكري في بلاط الحكم المستنصر بالله

د . أحمد بدر

جامعة دمشق

مكتبة ضخمة قدر عدد ما حوته من الكتب باربعمائة الف مجلد ، وتمويل وتوجيه للبحث والتاليف تجلى بوضع مئات ــ ان لم نقل الاف ــ من الكتب في شتى صنوف المعرفة ، وشكل من اشكال توفير التعليم الاولي المجاني لابناء الفقراء تجسد بانشاء سبعة وعشرين مكتبا للتعليم في قرطبة .

معالم بارزة على دروب تطور الحياة الفكرية في الحضارة العربية الاسلاميــة ، تعكس النشاط الكبير لهذا المظهر من مظاهرها في الاندلس وازدهاره العظيم ، لاسيما في عصر الخلافة الاموية فيها .

ارتبط جل هذا النشاط والازدهار باسم الحكم المستنصر بالله ، تاسع الحكام الامويين في الاندلس وثاني خلفائهم فيها ، بين ٣٥٠ ــ ٣٦٦ هـ (٩٦١ ــ ٩٧٦) ، وان يكن توجيه الحكم لهذا النشاط وتشجيعه له قد بدأ قبــل هذا التاريــخ بعقدين من السنين على الاقل ، كان خلالهما وليا للعهد .

انعكست آثار هذا النشاط في كتب التاريخ وتراجم الاعلام ، على شكل وقائع صغيرة مبثوثة ومبعثرة في هذا المصدر او ذاك ، لكنها مع ذلك تستلفت نظر القارىء .

وقد اغرت وفرتها الباحث الاسباني ملشور انطونيا في اوائل القرن الحالي بجمعها والخروج منها بصورة للنشاط الفكري في بلاط الحكم(١) ، كانت من الدقة والكمال بالدرجة التي يسمح بها المعروف والمكتشف حتى زمنه من مصادر التاريخ الاندلسي. لكن تتابع الاكتشافات وتكاثر البحوث عن الحياة الفكرية في الاندلس ، والتي تلامس حينا هذه النقطة أو تلك ، او تنير بعض جوانبها احيانا اخرى ، تستدعي البحث من جديد لرسم صورة ادق وأكمل . وسعيا للوصول الى اجابات على تساؤلات عدة تدور كلها حول اسهام الحكم في الحياة الفكرية ، مثل : دوافعه ، وهل كانت ذاتية أم موضوعية ، أم كليهما معا .. ما هو شكل اسهامه ، هل كان قاصرا على الانفاق والتمويل أم تعدى ذلك الى المشاركة والتوجيه .. ما رؤيته في هذا المجال ، هل كان مقلدا يسير على سنن سابقيه ودروب اسلافه ، أم كان مجددا يستشف حاجات دولته ومتطلبات بلده الناجمة عن مجموعة الظروف المحيطة به ، ويحاول ان ينجز ما فيه تحقيق المتطلبات وتلبية الحاجات في تلك الظروف ..

العوامل المؤثرة في تكوين الحكم الفكري :

يتضح لنا بجلاء من دراسة سيرة الحكم المستنصر ان عظمته وليدة نتاج وتفاعل بين جهد ذاتي ومناخ وبيئة محيطة، شانه في ذلك شأن كل البارزين والعظماء في التاريخ الانساني . ويمكن تحديد اطار هذه البيئة في المجال السياسي ، بان الاندلس في زمن ابيه قد توحدت بعد تجزؤ والتأم شملها بعد شتات وتمزق . كما أصبح سلطان خلفائها معترفا به من قبل ملوك وامراء الدويلات الاسبانية في الشمال ، وتحارب تحت لوائه ، في الجنوب ، قبائل زناته المغربية منافسيها من قبائل صنهاجة واسيادهم الائمة الفاطميين ، الذين أضفوا على اشخاصهم صفات قدسية تجعلهم يتبوؤن – حسب زعمهم – مرتبة سامية بين المراتب الكائنة بين البشر وخالقهم . وقد اتخذوا قاعدة لسلطانهم في المغرب الادنى، قبل انتقالهم للقاهرة التي انشئت لهم في مصر . أما في داخل الاندلس ، حيث خيم سلام نسبي ، فقد نشطت الفعاليات الاقتصادية بشتى اشكالها ، مما ساعد على تنشيط المبادلات التجارية مع الخارج الذي توسعت أطرافه وتعددت جوانبه ، فدخلت ضمن دائرة التبادل مع الاندلس دولة امالفي الايطالية(٢). اضافة للمغرب والمشرق الاسلامي . وتمخض نشاط هذه الفعاليات عن ظهور طبقة غنية في الاندلس نجد مؤشرا على درجة غناها في الهدايا الثمينة التي قدمها افراد منها للخلفاء بلغت قيمتها مئات الالوف من الدنانير الذهبية . وقد تجاوز هؤلاء الخلفاء الفوائد غير المباشرة ، التي جنوها من نشاط الفعاليات الاقتصادية، الى الافادة المباشرة

عن طريق المشاركة فيها بواسطة ضياعهم المغلة الكثيرة ، وممارسة التجارة ، التي مكنهم مركزَهم من احتكارها وجني ارباح طائلة منها .

كان لهذه الاوضاع الاقتصادية ــ الاجتماعية داخل الاندلس اثر ايجابي على الحياة الفكرية فيها ، اذ أنفق هؤلاء الاغنياء بسخاء على تطوير الفكر ، من خلال رعاية رجال الفكر وتشجيعهم ، واقتناء الكتب وانشاء المكتبات . واذا تصدرت العائلة الاموية المالكة في الاندلس هذه الطبقة الغنية ، فانها كانت أيضا في مقدمة المشاركين في النشاط الفكري ومشجعيه . ونلاحظ تقدما مطردا لامرائها وخلفائها في هذا المضمار، حتى اقترب من الذروة بشخصية عبد الرحمن الناصر والد الحكم (٣٠٠ ــ ٣٥٠هـ) الذي أظهر اهتماما غير عادي بالعلم والثقافة ، فلم تمنعه المشاكل السياسية المعقدة التي واجهها ومشاغله في الحروب الكبيرة ، من تخصيص وقت يكرسه للفكر ، فنراه يجمع عددا من المثقفين لبحث ترتيب قصائد الشاعر المشرقي المشهور ابي تمام عندما جمعت له في ديوان . ويحس" أحد الاطباء باهتماماته في هذا الميدان فيؤلف له كتابا عن « الأنيسون وفوائده في المعالجة »(٣) .

بهذا كان عبد الرحمن جزءاً اساسيا من البيئة المحيطة بالحكم . والتي اسهمت في خلق توجهاته الفكرية ، لما يمثله الاب من قدوة للابناء . وزاد على ذلك اتخاذ الاجراءات المساعدة على تكوينه التكوين الفكري الراقي ،فاستمر أول الامر على اتباع التقليد الذي ساد في البلاط الاموي منذ أيام الامير محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨ ــ ٢٧٣ هـ) والهادف الى تخصيص موارد اقتصادية مستقلة لكل من أبناء الامراء على حدة ، وتعيين شخص للاشراف على استثمارها من جهة ، وللاعتناء بتثقيف وتربية هذا الولد من جهة ثانية ، مما يعوض عن عناية الاب ، الذي قد لا تدع له مهامه السياسية وقتا كافيا للاشراف على تربية ابنائه الكثيري العدد في الغالب . وقد نقل المؤرخ الاندلسي ابن حيان عن الكاتب القبشي هذا التقليد بقوله : « كان يعجّل ــ أي الأمير محمد ــ لكل واحد من الابناء ، أول ترعرعه بقصر يسكنه وضياع تغل له وعقار بداخل البلد يجري عليه خرجه ، الى رزق هلالي ومعروف سنوي (أي مرتب شهري وآخر سنوي) يجريهما عليه تتأكد بهما ملوكيته وتتأثل نعمته ، ويختار لكل ولد منهم في وجوه الناس واولي مرواتهم وكيلا يسند بشأنه اليه ويقلده النظر في دخله وخرجه وأمر قصره وضياعه يرزقه على ذلك ما يقوم به . فلا تزال نعمة الولد تنمى بنمو سنه » . ويتابع المؤرخ ذاته اقتباسه مما يذكره الكاتب نفسه عما ادخله عبد الرحمن الناصر من تجديد في هذا المضمار ، يتعلق بزيادة المخصصات وتوسيع دائرة اشراف الوكلاء على ابنائه الاحد عشر من الذكور بقوله : « قرن الناصر لكل واحد منهم القصر بمنية (بستان) بخارج البلد في امكنة منتزهاته الحسنة واضعف لهم على ذلك

الارزاق الهلالية والمعارف السنوية واوسع لهم من الضياع المغلة والعقار الخراجية»(٤) ورغم اننا لا نعرف على وجه الدقة مقدار واردات هذه المصادر كلها بالنسبة لكل ابن ، لكن يمكن القول انها كانت ضخمة لان الاشراف عليها لم يعد مقتصرا على الوكيل بل عين فوقه كاتب يدقق في حساباته ويشاركه في الاشراف على ترتيب امر الولد لدى حذاق المعلمين .

وفرت هذه البيئة الاندلسية والعائلية سبل النضج الثقافي والرقي الفكري لابناء عبد الرحمن الناصر الاحد عشر . وهنا يبرز أثر الجهد الذاتي اذ لم يبرز منهم سوى اثنان اولهما عبد اللهالذي اتسعت دائرة ثقافته لتشمل المعرفة باللغة والخبر وقرض الشعر والادب ، حيث وضع كتابا في اخباره بعنوان « العليل والقتيل في اخبار بني العباس » . واضاف الى اتساع دائرة الثقافة عمقا وتجديدا في بعض نواحيها ، فتراه عالما في مجال الفقه مستقل الرأي فيه ، اذ كان شافعيا في بلد سادته المالكية كمذهب اوحد ، واعتبرت الاسرة الحاكمة فيه نفسها حامية له خارج حدود الاندلس(٥) . من ناحية اخرى عقد هذا الامير العالم صلات وثيقة مع العلماء الاخرين ،لعل من اشهرهم احمد بن عبد البر بن يحيى الذي الف له كتاب « تاريخ الفقهاء والقضاة » ، الذي اعتبره الكتاب المعاصرون ومن تلاهم مصدرا هاما ، رغم مآخذ بعضهم عليه مردها تتبعه لمثالب الائمة . وقد اتهم الامير وصديقه بالتامر على الخليفة ، فقبض عليهما معا ولقيا مصيرا واحدا وهو القتل(٦) .

أما ثاني البارزين من الابناء فكان الحكم ، الذي سيصبح ولي عهد ابيه وتاليه على عرش الخلافة . وقد اتيح له،كأخيه ، اخذ العلم منذ نعومة اظفاره على حذاق المعلمين ، ووفر له بقاؤه على قيد الحياة ومكانته ان يتابع الاخذ عن العلماء حتى تجاوز اخاه في اتساع دائرة معارفه وتعمقه فيها . ويمكننا التعرف على الخطوط الاساسية لاتجاه ثقافته من تتبع كبار من اخذ العلم عنهم بعد تحصيله الاولي والاساسي . كان في مقدمة هؤلاء علماء بالعربية والحديث والفقه والادب ، وكلهافروع من المعارف مجمع على ضرورتها في الاندلس . لكنه لم يقتصر عليها بل اخذ عن علماء في علوم مكروهة لدى الاندلسيين، كالفلسفة ، بما حوتهانذاكمن علوم كالمنطقوالرياضيات وغيرها(٧) .ولم يتم تكوين الحكم في فترة طفولته وفتوته وشبابه الاول فقط ، بل استمر طيلة حياته تقريبا ، فنراه وهو في الثامنة والعشرين من عمره (أيسنة ٣٣٠هـ) يستقدم علماء من المشرق ، كأبي علي القالي ، ويأخذ عنهم، هذا اضافة لمن يستقدمهمن علماء المناطق الاخرى بالاندلس وعلماء قرطبة ، الذين يسمع منهم ويتدارس معهم قضايا علمية متنوعة .

جهود الحكم في النشاط الفكري :

واكبت عملية استزادة الحكم من العلم عملية تسهيل نشره وارتقائه ، عن طريق جمع كتبه وتشجيع وتمويل البحث والتاليف في شتى مناحيه ، وتوجيهه .

كانت عملية نشر العلم بين الناس سهلة نسبيا في الاندلس ، لما شاع فيها من اقبال عليه ، وخاصة لدى الطبقة الغنية التي انفقت بسخاء على اقتناء الكتب ، وعلى مؤدبي ابنائها . لكن الطبقة الفقيرة بقيت محرومة حتى من الاساسي منه، والذي يدور حول تعلم قراءة القران الكريم .. فحاول الحكم سد النقص حسب ما يورده ابن عذاري بقوله « ومن مستحسنات افعاله وطيبات اعماله اتخاذه المؤدبين يعلمون أولاد الضعفاء والمساكين القرآن حول المسجد الجامع وبكل ربض من ارباض قرطبة ، واجرى عليهم المرتبات ..» . وقد بلغ عدد المكاتب التي انشأها لهذه الغاية سبعة وعشرين مكتبا ، منها ثلاثة حول المسجد الجامع وباقيها موزع على ارباض المدينة . وقد ذكر هذا العمل الخير احد الشعراء من خلال مدحه للحكم بقوله :

وساحة المسجد الاعلى مكللة   مكاتبا لليتامى في نواحيها
لو مكنت سور القرآن من كلم   نادتك يا خير تاليها وواعيها(٨)

لكن المهم والجوهري في دور الحكم الفكري كان الاسهام في تطوير وترقية الفكر عن طريق جمع كنوزه المكنونة في الكتب ، والعمل في الوقت نفسه على وضع البحوث والمؤلفات الجديدة . وتكون من مئات العاملين لدى الحكم وبتوجيهه شكل من أشكال « الاكاديمية » أو المجمع العلمي المعروف في عصرنا الحديث . كان لهذه « الاكاديمية » مقر للعمل هو قصر ملكي مطل على نهر قرطبة يدعى بدار الملك ، سمي بذلك لكونه منزلا لعدة امراء اندلسيين انتقلوا منه مباشرة لقصر الخلافة ، كان المنذر بن محمد آخرهم ، وانتقلت الدار من ورثته بالبيع لعبد الرحمن الناصر الذي حبا بها بكره الحكم ، رغم اجباره له من دون سائر اخوته على الاقامة معه في قصر الخلافة ، ثم في الزهراء مدينة الملكية . اما دار الملك هذه فقد جعلها حسب قول المؤرخ الرازي «لخاصة نشبه (النشب المال الاصيل من الناطق والصامت) ومخازن امتعته ومصاون دفاتره، ومجالس نساخه ومقابلي دواوينه ، وأحلها ثقات خدمة واقادم كتابه .. ينتابهم فيها بالاوقات لما يتخذه له فيها ويختزن في مخازنها » . يفهم مما مر ومما يرد في ثنايا الحديث عن تراجم العاملين ، ان دار الملك كانت مقر اقامة عمل دائمة لجهاز المكتبة ، ومقرا مؤقتا للمؤلفين والباحثين ، اذ ارادوا الرجوع لمصادر المكتبة أو التمسوا اعتزال المشاغل والناس للتفرغ للتأليف .

المكتبة والجهاز العامل فيها :

اقتنى الامراء والخلفاء الامويون ، شأنهم في ذلك شأن كثير من الاندلسيين ، مكتبة كانوا يدعونها خزانة الكتب . لكنها لم تتميز عن غيرها كثيرا ، على ما يبدو ، ولم تستلفت بالتالي اهتمام الكتاب ، الذين اعتنوا بذكر كل صغيرة وكبيرةعن حياتهم . واختلف الامر زمن الحكم فتواترت الأنباء عن مكتبته وكثرت الاشارات غير المباشرة اليها كذلك ، مما يمكننا من رسم صورة غنية بالتفاصيل لها .. ينقل ان حزم عن قيمها الفتى تليد : ان عدد الفهارس المحتوية لتسمية الكتب اربع واربعون فهرسة في كل فهرسة خمسون ورقة ليس فيها الا ذكر اسماء الدواوين فقط ، وان عدد كتبها بلغ اربعمائة الف مجلد(٩) .

يمكن تصديق الخبر عن ضخامة عدد المجلدات ، وتفسير هذه الضخامة من ملاحظة امور عدة ،كالعمل الدائب والسعي المستمر في عملية جمع الكتب واغناء المكتبة ، وطول المدة التي استغرقها جمعها ، وكذلك تعدد مواردها وتنوع اعمال العاملين بها . فقد ظل الحكم دائبا على جمع الكتب خلال فترة ولايته للعهد التي استمرت عدة عقود من السنين ، واثناء مدة خلافته التي بلغت نحو ستة عشر عاما . وكانت موارد الكتب متعددة ، فمنها ما ورثه عن سلفه ، كما هو الحال في نسخة الموطأ لمالك بن انس ، التي وصفت بانها بالغة الجودة وقد ورثها عن ابيه الناصر وقرأ بها ابنه هشام(١٠) ، ومنها ما كان من مكتبة اخيه بعد مقتله . اما المورد الاهم فكان الشراء من منبع ثقافة الاندلسيين ، وهو المشرق العربي الاسلامي ، حيث كان له وكلاء ينتخبون له غرائب التواليف من اشهرهم محمد بن طرخان وراق الحكم في بغداد ، وعمر بن محمد المعروف بابن الوفي ، الذي اقام بالبصرة حوالي عشرين سنة تولى خلالها ابتياع الكتب والذخائر له ، وبلغت النفقات التي جرت على يديه لهذا الفرض مائة وعشرين الف دينار(١١) . نستنتج من المثلين السابقين ان وكلاء الحكم كانوا مؤهلين لاختيار الجيد المناسب من الكتب شكلا وموضوعا ، فالكتب كانت صناعة الاول ، الذي ينعت بالوراق ، كما كان الثاني فقيها عينه الحكم إثر عودته قاضيا في مدينتين كبيرتين . ويبدو ان الوكلاء لم يكتفوا بشراء المعروض من الاسواق ، بل عملوا ايضا كهمزة وصل بين الحكم ومشاهير المؤلفين في المشرق ، من ذلك الاتصال بين الحكم وابي الفرج الاصبهاني الذي تلقى من الخليفة الاندلسي الف دينار ذهبي مع التماس لنسخة من كتابه « الاغاني » ، فارسل اليه منه نسخة حسنة منقحة قبل ظهور الكتاب لاهل العراق او نسخه من قبل احد منهم ، والف له ايضا « انساب قومه بني امية موشحة بمناقبهم واسماء رجالهم ، فاحسن فيه جدا ، وخلد لهم مجدا وارسل به الى قرطبة ،

وانفذ معه قصيدة حسنة من شعره يمدحه بها ويذكر مجد قومه بني أمية وفخرهم على سائر قريش فجدد عليه الصلة الجزيلة» (١٢) . اضافة لما كان يرسله الوكلاء للحكم ، كانت اعداد غفيرة من الاندلسيين ترتاد بلدان المشرق حتى وصل بعضهم الى الهند ، طلبا للعلم وسعيا للاخذ عن مشاهير الشيوخ ، وربما اشترى بعضهم الكتب فوصلت للحكم ، الذي كان اكثر رغبة باقتناء كتب الاسمعة للعلماء ، من الاندلسيين المتجولين في المشرق ، نظرا لسعة ادراكهم وتحريهم عندما يسجلون ما يسمعون ، ممن ينقله بسند مباشر عن المؤلف نفسه ، كما هو حال كتاب « الكامل » للمبرد(١٣) ، الذي سمعه وسجله محمد بن ابي علاقة القرطبي من الاخفش الذي سمعه بدوره من المبرد نفسه ، وصار الكتاب للحكم الذي قال : كتاب الكامل لم يصح عنده برواية الا من قبل ابن علاقة . واقتنى الحكم من الفقيه يوسف بن محمد الهمداني (ت ٣٨٣ هـ) ، كتاب « الام » للشافعي في مائة وعشرين جزءا ، الذي سجله الفقيه بخطه ، وكان من جملة ما سمعه في المشرق خلال اقامته مدة عشر سنوات فيه اعتنى فيها اضافة لذلك بكتب الطبري المشهور من تاريخ وتفسير واختلاف الفقهاء(١٤) . واذا كان الحكم قد اهتم باقتناء الكتب من اماكن بعيدة في المشرق ، يبدو من الطبيعي ان يجمع نتاج بلده منها ، في وقت بلغ النشاط الفكري فيه ذروة لم يبلغها من قبل ، وان يضيف فيه الى الشراء نسخ ما لا يتوافر منه نسخ مطروحة للبيع . وأخيرا ، لم يكن من المتيسر دائما بالنسبة لتلك العصور توافر المؤلفات ، وخاصة الكبيرة منها ، في نسخ كاملة ، بل كان الشائع بالنسبة للكثير منها ان يكون اشتاتا مبعثرة بين ايدي التلاميذ الذين يسمعونها جزئيا أو كليا عن شيوخهم وقد يسجلون كل ما يسمعون او بعضه . وكان هذا المورد الاخير موضوع ومجال عمل اكثرية افراد الجهاز العامل في المكتبة .

تمايز أفراد الجهاز العامل بمكتبة الحكم في فئتين : الوراقون والمقابلون . كانت عملية الفئة الاولى بسيطة لا تتعدى النسخ ، لكن الحكم الساعي وراء جودة الكتابة ودقة المكتوب استخدم ذوي مؤهلات عالية تتعلق بالمهمة ، فلم تقتصر على حسن الخط وجماله بل تعدته الى المعرفة حتى يستطيع ضبطه ، لذلك نرى كل نساخيه من ذوي المعارف العلمية المختلفة ، فقد كان يوسف البلوطي حسن الخط والضبط ذا معرفة بالادب ، ومثله اسحاق بن محمد الذي وصف بأنه من أهل الادب والفهم . ووجد المبرزون في هذا الميدان من بلاد أخرى سوقا رائجة لهم في بلاط الحكم فقصدوه ، وصل ظفر البغدادي من بغداد وعينه الحكم رئيسا للوارقين ، ومن صقلية ورد عليه أيضا عباس بن هارون الكناني بعد اقامته في القيروان لمدة واحد وعشرين عاما ، وكان عالما بالكلام والرد على أصحاب المذاهب (١٥) .

عملت الفئة الثانية فيما سمي بخطة المقابلة ، ومهمة المشتغلين بها مقابلة النسخ المتعددة للمؤلف الواحد ، أو قطع منها لنساخين متعددين ، بغية اخراج أكمل وأصح نسخة للمؤلف ، وبهذا تكون مماثلة لعملية التحقيق في العصر الحاضر ، وقد تكون اكثر منها صعوبة في بعض الحالات . ولعل في بعض انجازات هذه الفئة ما يقدم صورة واضحة لنوعية العمل وصعوباته . فقد كان من جملتها اخراج نسخة كاملة للبارع المعجم اللغوي الكبير الذي وضعه أبو علي القالي في بلاط الحكم وأملاه على الناسخين على مدى ستة عشر عاما تخللتها فترات انقطاع . ثم حاول جمع ما كتبوا وتنقيحه ، الا أن الاجل وافاه ولم يتم له تنقيح سوى أجزاء الهمزة والعين والهاء ، في حين بقيت الاجزاء الاخرى غير منقحة وبخطوط متعددة ، منها ما كان لمحمد الفهري وعمر الجياني فكلف الاثنان باتمام العمل واخراج نسخة كاملة قدمت للحكم المستنصر . وكان القالي نفسه قد ترأس قبل ذلك فئة من المقابلين للقيام بمهمة مماثلة ولكنها اكثر صعوبة،وهي اخراج نسخة كاملة وصحيحة من معجم « العين» المنسوب للخليل بن احمد الفراهيدي. ومن المعروف أن انتشار الكتاب كان بطيئا حتى في المشرق . فقد توفي المؤلف سنة ١٧٠ هـ . لكن الكتاب وصل الى البصرة سنة ٢٤٨ هـ عندما حمله اليها من خراسان أحد الوراقين بثمانية وأربعين جزءا . ويسجل أول دخول له الى الاندلس في نهاية القرن ذاته ، أي القرن الثالث الهجري ، على يد قاسم بن ثابت بن حزم وابيه . ومنذ ذلك الوقت كان حاملو العلم من المشرق يدخلون الاندلس منه نسخا او قطعا متفاوتة في الصحة والضبط ، مما جعل الحكم يكلف ابا علي القالي مع محمد بن الحسين وابنا سعيد بمقابلة جميع النسخ واخراج نسخة جديدة كاملة وصحيحة . ومثل هذا العمل جرى في وضع الدواوين الشعرية لشاعر مشهور ، بعد جمع قصائده المبعثرة او المحفوظة لدى اناس متعددين ، كما حصل في شعر الكاتب الاندلسي المشهور ابن عبد ربه الذي جمع بامر من الحكم في ديوان واحد مؤلف من نيف وعشرين جزءا(١٦) . لهذا كانت المؤهلات التي يتطلبها الحكم في المقابلين اعلى من تلك المطلوبة في النساخ ،اذ يتطلب عملهم معرفة واسعة وعميقة وخاصة باللغة ، وهو أمر يتجلى بوضوح لدى تصفح اخبار من استخدمهم في هذه الخطة . فقد رأينا مثلا عليهم في ابي علي القالي ، كما نعثر على امثلة اخرى غزيرة : كاحمد المعافري الذي استكمل ثقافته في المشرق بعد الاندلس وادخل منه لبلده علما جما ، ومنهم ايضا احمد بن عبد الوهاب المعروف بابن صلى الله ، وكان فقيها شافعيا ذكيا بصيرا بالحجاج وذا حظ وافر من العربية ، وكذلك محمد بن يحيى الرياحي الذي يصفه الزبيدي بالقول « كان حاذقا بعلم العربية دقيق النظر فيها غاية في الابداع والاستنباط وكان قد طالع كتب اهل الكلام وتفنن فيها ونظر في المنطقيات فاحكمها » . ويضيف الى ذلك انه احدث تغييرا كبيرا في تعليم النحو على نطاق الاندلس كلها .

جمع العلماء

كانت قرطبة مركزا فكريا مزدهرا زاخرا بالعلماء . لكن الحكم لم يكتف بهم بل كان يستقدم العلماء الذين يبرزون في حواضر الاندلس الاخرى بعد استكمال تحصيلهم العلمي في المشرق بعد بلادهم . ثم تجاوزذلك الى البلاد الاخرى ، المجاورة منها في المغرب أو البعيدة ، مثل بلدان المشرق . استقدم من سبته محمدا بن حارث الخشني، الذي اعتبره اهلها حجة في العلم فأطاعوا قوله وشرقوا قبلة مسجدهم الجامع لانه وجد فيها تغريبا ، رغم تعدد الاجيال التي أدت صلواتها فيه وهوعلى هذا الوضع. كما تمسكوا به الى الحد الذي يقترب من الحبس . ومن اشهر مراكز المغرب الفكرية ، وهو مركز القيروان ، استقدم محمدا بن يوسف الوراق العالم الخبير بأرض المغرب وبلدانه وسكانه . كما قدم عليه محمد بن الازرق من مصر وهو صاحب معرفة بالادب والعلوم الحكمية او الفلسفية ، ومن حلب في الشام محمد بن العباس حافظ وحامل اسناد الشام . ومن العراق اكبر المراكز الفكرية في المشرق حل في حاشية الحكم محمد بن ابي بردة البغدادي الشافعي الذي لم يصل للاندلس افهم منه بالمذهب ، على حد قول ابن الفرضي(١٨) . لكن عالما آخر طغى عليه ، وربما على سائر القادمين الآخرين، وهو اسماعيل بن القاسم ابو علي القالي ، الذي استغرقت رحلته من العراق الى الاندلس قرابة ثلاث سنوات ، نزل بعدها على شواطىء الاندلس سنة ٣٣٠هـ ليجد في استقباله وفدا من وجوه رجال الكورة التي نزل بشاطئها برفقة واليها ، ورافقوه بعد ذلك الى قرطبة تنفيذا للامر الصادر لهم من ولي العهد الحكم بن الناصر . الف القالي بتشجيع من الحكم وتوجيهه عددا كبيرا من المؤلفات ، لكن اهميته لا ترجع الى هذا الامر بقدر ما ترجع الى مقدار ما حمله من نتاج الثقافة العربية والذي يشتمل فيجملة مواضيع اخرى على مؤلفات رجال الادب واللغة الكبار ، كسيبويه وابن قتيبة ويعقوب السكيت واحمد بن يحيى الشيباني الملقب بثعلب وابي عبيد . ومن ناحية اخرى اسهم اسهاما كبيرا في الحركة الفكرية بواسطة من اخذوا عنه من التلاميذ او اولئك الذين ناقشوه من العلماء الاندلسيين في قضايا اثيرت حول ما درسه أو ألفه .

قد تختلف الاراء حول سبب قدوم هؤلاء العلماء للاندلس ، وهل قدموا بدعوة من الحكم أم سعيا وراء رزق في سوق عرفوا رواج بضاعتهم فيه .. لكن الاتفاق قائم على ان شهرتهم في الاندلس وغزارة انتاجهم فيها مرده لتقريب الحكمالمستنصر ورعايته لهم . ويبدو ان تنوع اصول ومواطن هؤلاء القربين لم يكن وليد اعتباط او محض صدفة ، وانما كان مقصودا على الارجح لتحقيق غايات معينة ، منها ان عددا منالعلوم العربية وخاصة الدينية منها ، كانت علوم حفظ ورواية عن السلف تعود بذورها

الاولى واصولها الاساسية الى الصحابة الذين حلوا في كل قطر ، لذلك فان عالم قطر من الاقطار تعلو اسناده لتصل الى الصحابة الاول الذين نزلوا في هذا القطر . اضف الى ذلك ان العلوم كلها قد اتخذت اتجاهات متمايزة في تطورها ورقيها ، ومن شأن تعدد اقطار العلماء الوافدين ايصال هذا التنوع للاندلس . واخيرا فان بعض العلماء كانوا ذوي خبرة بأوضاع بلادهم الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والسياسية ، ومن السهل عليهم نقلها الى رجال الاندلس وحكامها .

كانت مؤهلات المحيطين بالحكم العلمية وسيلة ايضا لنيل الوظائف في ادارة دولته ، كالقضاء والشورى والكتابة . ويظهر ان الخدم المحيطين به ادركوا أهمية التحلي بحلية العلم لنيل حظوة اكبر لديه فانكب بعضهم على تحصيله حتى برزوا فيه ، على الرغم من ان هؤلاء كانوا من الصقالبة الذين اشتهروا بجهلهم . وقد عبر عن هذا المعنى ابن حيان في وصفه لخادمي الحكم فاتن وجؤذر « اجمع أهل الدولة انه لم يقم على راس أمير بالاندلس من هذا الجيل الغليظ الطباع من الصقلب كهذين الخادمين فاتن وجؤذر سعة معرفة .. خلاف ما عليه العصابة »(١٩) . لكن شهرة هؤلاء العلماء لم تكن نتاج المراكز الادارية التي شغلوها ، وانما بالمؤلفات التي درسوها او وضعوها ، وكانوا في هذا الميدان يمثلون شتى نواحي العلم والمعرفة مما يمكننا من تصنيف نشاط التأليف في بلاط المستنصر حسب التقسيم المألوف للعلوم .

علوم اللغة والادب

ابدى الحكم اهتماما بالغا باللغة تجلى في سعيه الدائب لجمع نسخة كاملة صحيحة من معجم العين كما رأينا ، كما انعكس هذا الاهتمام في الحفاوة التي اظهرها باللغوى المشرقي ابي علي القالي ، لا عند استقباله فقط وانما خلال اقامته بجواره ، اذ ينقل الحميدي عن ابن حزم قوله « وكان الحكم المستنصر قبل ولايته الامور وبعد ان صارت اليه ، يبعثه على التاليف وينشطه بواسع العطاء ويشرح صدره بالافراط في الاكرام » وقد الف القالي استجابة لذلك عددا من المؤلفات المتفاوتة فيما بينها من حيث الجدة والاهمية والضخامة ، لكن ما يجمعها كونها باجمعها في اللغة والنحو .

ولعل أهم هذه المؤلفات معجم البارع ، الذي استغرق العمل فيه ستة عشر عاما تخللتها فترة انقطاع . وما انجز في هذه المدة كلها منه كان املاؤه ثم تهذيب وصياغة كتاب الهمزة والهاء والعين فقط ، وتوفي قبل انجاز التهذيب والصياغة فاكملها معاوناه ، كما مر سابقا ، وخرج في مائة مجلد . وقد تجاوز القالي — حسب رأي معاصريه — معجم العين للفراهيدي بزيادة في كلمات البارع قدرها خمسة الاف وست مائة وثلاث وثمانين كلمة . وقد قدم هذا للزبيدي مبررا لحكمه القائل « لا اعلم احدا من العلماء

المتقدمين والمتاخرين الف مثله في الاحاطة والاستيعاب »(٢٠) .. ومن كتب القالي الهامة كتاب « الامالي » المشهور والمتداول على نطاق واسع حتى ايامنا هذه . وهو من كتب المجموعات الادبيةالتي تحوي اخبارا ولغة وادبا . ويقول عنه ابن حزم انه « مبار لكتاب الكامل الذيجمعه ابو العباس المبرد ، ولئن كان كتاب ابيالعباساكثر نحوا وخبرا، فان كتاب ابي علي لاكثر لغة وشعراً »(٢١) .

يلي ابا علي القالي في الشهرة بين المؤلفين في ميداني اللغة والنحو ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي ، وكانت صلته بالحكم وثيقة الى حد ان كل ما ألفه كان بامر وتوجيه وتخطيط للموضوع منه ، او بمباركته في حالات اخرى . ياتي في مقدمة هذه المؤلفات اختصاره لكتاب « العين » ، وقد جاء ميسرا للاستفادة من مادة المعجم حتى فضله الناس على الاصل ، اذا صدقنا ما ينقلهصاحب المزهر من قول لابي الحسن الشاري بان الناس « قد لهجوا كثيرا بمختصر العين للزبيدي فاستعملوه وفضلوه على كتاب العين لكونه حذف مما اورده مؤلف كتاب العين من الشواهد المختلفة والحروف المصحفة والابنية المختلفة ، وفضلوه على سائر ما الف على حروف المعجم من كتب اللغة »(٢٢) .

وكان للحكم أيضا دور مماثل في مؤلف آخر للزبيدي هو « طبقات النحويين واللغويين » وقد عرض من هذا الكتاب المتداول حتى ايامنا هذه الى ذكر تراجم لكل من الفئتين في مراكز الفكر المشهور بديار الاسلام بدءا من اوائلهم وحتى أيامه على طبقاتهم . تقدمت البصرة هذه المراكز وتلتها الكوفة ثم مصر فالقيروان ، وختم كتابه بطبقات النحويين واللغويين بالاندلس .

في الكتاب الثالث للزبيدي وهو « لحن العامة » او «لحنعوام الاندلس »، يقتصر دور الحكم على المباركة فقط اذ يقول في مقدمته « وكان الذي دعانا لتأليف هذا الكتاب ما أملناه في الثقة التي اسندها الى المؤلف الامام الفاضل والخليفة العادل . .» . أما مضمون الكتاب فيأخذ بعين الاعتبار طبقة القراء التي يتوجه اليها ، هي بالطبع متعلمة وبالتالي فانه لا يحتوي على كل مايلحن به العوام اذ يمكن للمتعلم تمييزه بسهولة ولا ضرورة لتنبيهه عليه . ويقتصر ما يورده على ذلك اللحن الذي تسرب من العامة الى المثقفين مع الزمن فاستعمله جملة الكتاب وعلية الخدمة وضمنه الشعراء أشعارهم ، فهو والحالة هذهمن قبيل الخطأ الشائع الذي تتوهم صحته..وقد سبقه لهذا الموضوع عديد من المشارقة لكن فائدة كتبهم في الاندلس محدودة ، فحسب قوله « سلمت عامة الاندلس من موافقة الكثير من لحن أهل المشرق ونطقت بوجه الصواب فيه » (٢٣) .

عمل في ميدان اللغة والنحو أيضا محمد بن عبد العزيز الشهير بابن القوطية ، وان كان يدين بشهرته لعمله في مجال التاريخ والاخبار . وقد اشتهر في الميدان الاول عمل له بعنوان « شرح رسالة ادب الكاتب » معان مضمونها لايتعدى شرح مقدمة ادب الكاتب، للكاتب المشرقي المشهور ابن قتيبة .

على شاكلة ما جرى في المشرق رافق جمع كلمات اللغة في المعاجم جمع الشعر العربي ، وقام الحكم بتوجيه عملية جمع الشعر الاندلسي على وجه الخصوص . واتخذ أشكالا عدّة منها جمع اشعار شخصية أدبية مشهورة غزيرة الشعر في ديوان ، كما هو حال الكاتب والاديب والشاعر الاندلسي أحمد بن محمد بن عبد ربه صاحب العقد الفريد ، والمتوفى سنة ٣٢٨هـ عن عمر يناهز اثنين وثمانين عاما . وقد انتج في هذا العمر الطويل الكثير من الشعر لدرجة أن مدائحه في بني أمية الحاكمين كانت من نصيب أربعة عاصرهم . ورأى ابن حزم ديوان شعره فوصفه قائلا : وشعره كثير مجموع رايت منه نيفا وعشرين جزءا (٢٤) .

واتخذ جمع الشعر بأمر الحكم شكلا ثانيا هو المختارات الشعرية ، ونرى مثلا عليها فيما وضعه له أبو عمر احمد بن محمد بن فرج الحياني ، في كتابه المعروف « الحدائق » الذي عارض فيه كتاب « الزهرة » المشرقي لابي بكر محمد بن داود . وقد تجاوز كتاب الحدائق كتاب الزهرة من ناحية الحجم على الاقل اذ احتوى على اربعة أمثال ما احتواه الكتاب الثاني . ويقول ابن حزم في هذا الصدد ان « ابا بكر بن داود انما ذكر مائة باب ، في كل باب مائة بيت ، وأبو عمر أورد مائتي باب في كل باب مائتي بيت» . ثم يضيف لهذه الميزة ميزة اخرى قائلا « احسن ابو عمر الاختيار ما شاء وأجاد فبلغ الغاية وأتى الكتاب فردا في معناه »(٢٥) .

يمكننا أيضا اعتبار المؤلفات في أخبار الشعراء شكلا ثالثا من أشكال جمع الشعر وحفظه . وقد صنفت هذه الكتب لتسجيل أخبار شعراء مناطق أو كور الاندلس ، وقد رأى ابن حزم بعضها فقال بصددها « ومنها كتب كثيرة جمعت فيها أخبار شعراء الاندلس للمستنصر رحمه الله تعالى رأيت فيها أخبار شعراء البيرة في نحو عشرة أجزاء » . من ناحية أخرى لم يخل بلاط الحكم المستنصر من مؤلفين في الادب كعمر بن عمير المعروف بابن الجزز والذي الف رسالة ناقض فيها عبد الله بن المقنع (٢٦) .

العلـوم الدينية

ويأتي في مقدمتها علم الحديث . وكانت كتب الصحاح للبخاري ومسلم والنسائي

والترمذي قد نقلت للاندلس، واستمر العمل بهذا العلم في المشرق على أساس دراسة الاسناد ورجالها . واسهم الاندلسيون في بلاط الحكم بشيء من هذا العمل ، فوضع محمد بن أحمد بن مفرج تبويبا لكتاب الاسماء والكنى لابي عبد الرحمن النسائي ، وظل هذا الكتاب يدرس حتى بعد قرن ونصف على الاقل في الاندلس . وقام العالم ذاته بجمع احكام رجال الحديث من الاجيال الاولى في المشرق، وجاء جمعه لفقه الحسن البصري في سبعة اسفار ، أما فقه الزهري فجمعه في كتب كثيرة ، واشتهر بين الاندلسيين في علم الحديث محمد بن معاوية من الاسرة الاموية الحاكمة ، الذي تتلمذ على النسائي وادخل سننه للاندلس . وبعد وفاته أمر الحكم يعيشا بن سعيد الوراق بتأليف كتاب عما رواه ابن الاحمر من الحديث وسماه « مسند حديث ابن الاحمر »(٢٦) . انصب الاهتمام في مجال علم الفقه على الدراسات ووضع المؤلفات عن الامام مالك ومذهبه ، خاصة وان المذهب اضحى الرسمي للدولة واصبح العمل بموجب احكامه لدى قبائل المغرب وبلدانه تعبيرا عن ولائها لخلفاء الاندلس وخروجها عن سلطان الفاطميين . تزامن ذلك مع أفول نجم آل حماد ، القضاة وذوي الثروة والنفوذ في بغداد نهائيا عام ٣٢٩ هـ ، أي عندما كان الحكم وليا للعهد ، وكانوا أصحاب اليد الطولى في بسط مسائل المذهب والمنافحة عنها . فتسلم الحكم راية حماية المذهب والمنافحة عنه ، والسعي لبثه ، وآية ذلك اكماله لمشروع بدأ به أصحابهم في بغداد ، وكان عبارة عن تأليف ديوان جامع لقول مالك بن أنس لا يشاركه فيه قول احد من أصحابه وباختلاف الروايات عنه وذكر من رواها . وتم تأليف خمسة اجزاء حول الموضوع وقعت بيد الحكم ، فكلف بعد التشاور مع قاضيه ابن السليم والفقيهين ابي بكر المعيطي وابي عمر بن المكوى باتمام العمل وانجازه . استطاع الفقيهان انجاز العمل بعد ما أباح لهما الحكم البحث في مكتبته عن أقوال مالك حيث كانت في روايات المكيين والمدنيين والعراقيين والمصريين والاندلسيين وغيرهم ، وخرج المؤلف في مائة جزء ودعي بكتاب « الاستيعاب الكبير » . وقد أعجب به الحكم فوصل كلا منهما بألف دينار ومنديل بكسوة وقدمهما الى الشورى .

عمل الفقيهان المصنفان لكتاب الاستيعاب تجاه أقوال مالك ما فعله كل من مسلم والبخاري تجاه أقوال الرسول (ص) ، وفي الاتجاه ذاته سار البحث حول الامام مالك فبدأت دراسة الرجال الذين رووا عنه ، كما كان يجري في الحديث الشريف حول دراسة سلاسل أسناده ، وقد تصدى لهذا العمل محمد بن أبي دليم القرطبي (ت ٣٥١ هـ) ، وكان قاضيا للحكم على عدة مدن ، وانجز كتاب « الطبقات فيمن روي عن مالك واتباعهم من أهل الامصار » . وظل الكتاب بعده واحدا من أكبر المصادر لمن الف وكتب عن أعلام المالكية .

وفي خضم الجدل المذهبي الذي ملأ آنذاك دنيا المغرب والاندلس خدمة لاغراض

سياسية ، دخل الاندلسيون ميدان الحجاج والمجادلة بعد طول احجام ، والف أحد المقربين للحكم الذي قدمه للشورى وهو ولي عهد ، كتبا عدة في نصرة مذهب مالك منها « كتاب الدلائل والبراهين على مذهب المدنيين » (٢٨).

التاريخ والجغرافية

نشط التأليف في هذين المجالين في بلاط الحكم ، بتوجيه وامر منه ، وفق انماط جرى التأليف عليها بالاندلس تقليدا للمشرق . من هذه الانماط ذلك النمط من التاريخ الوثيق الصلة بمؤلفات الرجال في علم الحديث . واذا كان الهدف في المؤلفات الاخيرة معرفة الرواة في النواحي التي تساعد على التثبت من صحة الاحاديث التي يروونها ، فان الغاية أصبحت في المؤلفات الاندلسية القريبة معرفة المشاهير والبارزين في الاندلس كلها او في حدود كورة من كورها او مدينة من مدنها . وقد تتسع نطاقها ليشمل البارزين في شتى المجالات ، او يضيق ليقتصر على البارزين في مجال واحد من مجالات النشاطات الفكرية او الادارية(٢٩) . من الامثلة على رجال الاندلس ، ما الفه خالد بن سعد باسم « رجال الاندلس » للحكم المستنصر الذي اعتبر الكاتب مفخرة من مفاخر الاندلس في مواجهة علماء المشارقة المماثلين . اما المؤلفات عن البارزين في ناحية محددة ، فقد نالت فئة الفقهاء والقضاة الحظ الاوفر من اهتمام المؤلفين وتكريس المؤلفات . ومع ذلك فقد ضاع جل هذه المؤلفات على كثرتها ولم يبق منها سوى نتف واقتباسات لدى الكتّاب المتأخرين . ولعل أشهر ما تبقى منها كان لابن حارث الخشني ، الذي استقدمه الحكم ــ كما مرّ ــ من سبته ، وألف له على ما يقال مائة ديوان (٣٠) ، يهمنا منها في هذا الصدد كتاب عن علماء افريقية ، وآخر عن قضاة قرطبة ، الذي حقق في زمنه للحكم رغبته في التعريف بقضاة الجماعة وبحاضرته وتخليد ذكرهم ، لكنه اعتبر لدى الكتاب المحدثين منبعا ثرا للمعلومات عن سائر نواحي الحياة بقرطبة ، ويعبر سانشيث البورنوث عن ذلك بقوله « ان القارىء المتمعن للكتاب يشعر وكأن اهل قرطبة الذين عاشوا قبل ألف عام قد بعثوا من القبور لانه يرى أمام ناظريه كل نواحي حياتهم : لهجات كلامهم ونظم ادارتهم وعاداتهم في البيت والسوق ومأكلهم وملابسهم »(٣١) . شكل آخر من أشكال الكتابة التاريخية ازدهر في بلاط الحكم ، تجاوز مشاهير المدن والحواضر ليبحث في كل شيء يتعلق بمنطقة من المناطق او كورة من الكور ، كالبحث في أرضها ومنتجاتها وتاريخها ومشاهيرها . وقد يقوم نفس المؤلف بالتأليف في النمطين ، كما هو حال مطرف بن عيسى الغساني (ت٣٥٦هـ)، الذي الف كتابا في فقهاء البيرة وآخر في شعرائها ثم تجاوز هذا الاطار المحدود ليؤلف حسب قول ابن بشكوال للحكم المستنصر كتابا سماه « المعارف في أخبار كورة البيرة وأهلها وبواديها وأقاليمها وغير ذلك من منافعها » . وظل الكتاب مرجعا لكل من حاول

الكتابة عن المنطقة حتى أواخر أيام التاريخ الاندلسي (٣٢) . وفي الكورة المجاورة وهي كورة ريّة وحاضرتها مدينة مالقة قام ابن مسعدة او ابن سلمة بالتأليف في النمط نفسه بكتاب ذي أجزاء كثيرة في « أخبار ريّة من بلاد الاندلس وحصونها وولاتها وحروبها وفقائها وشعرائها » . ثم قام بتجاوز هذا الاطار وألف بناء على أمر من الحكم المستنصر كتابا شاملا لاخبار الاندلس . ويبدو مما اقتبسه المتأخرون من هذا المؤلف الضائع انه شمل فترات تاريخ الاندلس منذ الفترة التي سبقت فتحها (٣٣) .

وفي فترة ولاية الحكم للعهد وخلال خلافته ، أنتج أب وابنه من عائلة الرازي أهم مؤلفات هذه الفترة في التاريخ والجغرافيا . وتنتمي العائلة الى قبيلة كنانة العربية ، وبذلك يكون أصلها عربيا صريحا . لكنها استوطنت الري في بلاد فارس ، ومن هنا جاءت شهرتها ونسبت الى المدينة . واتصل الداخل منها ، وهو والد المؤرخ محمد بن موسى ، بالامير الاموي في الاندلس وعمل لديه جاسوسا ، وينسب اليه تأليف كتاب « الرايات » وهو عمل تاريخي صغير ينصب على موضوع محدد لايتجاوز القبائل العربية التي دخلت الاندلس تحت راية موسى بن نصير . وعاش احمد ابنه شبابه وبقية حياته في عصر خلافة الناصر والد الحكم (توفي ٣٤٤ هـ) ، ووضع في التاريخ والجغرافية عدة مؤلفات ، ففي الميدان الاخير وضع كتابا في طبوغرافية قرطبة ذكر فيه صفتها وخططها ومنازل العظماء بها ، على نحو ما بدأ به ابن أبي طاهر في أخبار بغداد وذكره لمنازل صحابة المنصور فيها ، كذلك ألف في الموضوع ذاته كتابا عن جغرافية الاندلس بكاملها جمع فيه النمطين المعروفين لدى العرب وهما : المسالكي والبلداني ، وقد وصفه ابن حزم بأنه « كتاب ضخم ذكر فيه مسالك الاندلس ومراسيها وأمهات مدنها وأجنادها الستة وخواص كل منها وما فيه مما ليس في غيره » .

أما في التاريخ فقد وضع كتاب الفائق في « أنساب مشاهير الاندلس » ويصفه ابن حزم بأنه في خمس مجلدات ضخمة (٣٤) . ووضع كتابا في التاريخ العام للاندلس بدءا من الفترة الاسطورية ، أي ما قبل الروماني فالقوطي فالاسلامي . وقد اعتمد عليه المؤرخون الاندلسيون في العصور التالية ، وعبرت شهرته الحدود الاسلامية لتصل الى اسبانيا المسيحية فتستوحي منه المروية العامة لاسبانيا التي أمر بكتابتها بعد ثلاثة قرون الفونسو الحكيم ـ مراحل التاريخ الاسباني اضافة للمعلومات التاريخية ، كما عبرت البحر الى المشرق ، واعتمد عليه ابن الاثير فيما كتبه عن فترته من تاريخ الاندلس . وفي القرن السابع الهجري أيضا أمر ملك البرتغال دون ديونيس بترجمته مع وصف الاندلس الجغرافي ، وضاعت هذه الترجمة ، وما بقي ترجمة عنها للاسبانية باسم « مروية المسلم راسيس » cronica del moro Rasis (٣٥) وأعاد بعده ابنه عيسى للحكم المستنصر صياغة تاريخ الاندلس بشكل اكثر غنى ، وقد ادعى أن أباه

احمد هو مبتكر علم التاريخ بالاندلس وذلك بقوله« فغلب عليه حب الخبر والتنقير عنه، ولم يكن من شأن أهل الاندلس ، فالتقطه عمن لحقه من مشيختهم ورواتهم ودوّنه ، ووضع قواعد التاريخ بالاندلس مبتدئا ، فازلفه بالسطان واعتلت به منزلة والده ،من بعده ، واكسبوا أهل الاندلس علما لم يكونوا يحسنونه » .

يتضح من هذا القول ان مفهوم التاريخ هنا قاصر على التاريخ العام ، الذي يرتب الحوادث على السنين خلال فترة طويلة ، ويتناول اضافة لها حديثا عن الشخصيات البارزة كالامراء والوزراء . أما تراجم الرجال والمؤلفات التي تروي حادثة والاراجيز التي تقص تاريخا ، وهي مؤلفات معروفة عند الاندلسيين منذ زمن ، فلا تعتبر تاريخا. ومع ذلك فان في حديث الابن عن أبيه مبالغة واضحة ، اذ وجد لكل من مؤلفات أبيه ما يشابهها في الفترة نفسها التي عاشها وفي البلاط الذي عاش قريبا منه ذاته ، وهو بلاط عبد الرحمن الناصر ، حيث كان ولي العهد المستنصر مهيمنا في هذا المجال . فاذا بدانا بالانساب نرى الحكيم عبد الله بن عبيد الله (المتوفى سنة ٣٤١ هـ) ، يرفع للناصر سنة ٣٣٠ هـ كتابا ألفه في الانساب يحتوي على « ذكر الخلفاء ومن تناسل منهم في الاندلس ومن سائر قريش ومواليهم وأهل الخدمة والتصرف لهم ومشاهير العرب الداخلين الى الاندلس من المشرق من غير قريش ومواليهم ومشاهير قبائل البربر الذين احتلوا الاندلس »(٣٦) .

وعاش في بلاط الناصر ثم في بلاط ابنه ككاتب له عريب بن سعد (أو ابن زيد) ، وكان عالما موسوعيا ، فهو شاعر له مؤلفات في الطب والزراعة ، كما ألف للحكم كتابا في الانواء ، نشره دوزي مع رسالة مشابهة لاسقف قرطبة تحت عنوان « تقويم سنة ٣٦١ هـ » (٣٧) . واشتهر أيضا بكتاب له في التاريخ العام على السنين وصل به تاريخ الطبري باخبار عن المشرق بين سنوات ٢٩٠ ــ ٣٢٠ هـ ، وهو مطبوع متداول في عصرنا . بهذا يبدو غير صحيح القول بأن أحمد الرازي كان المبتكر الوحيد لفن التاريخ، حتى لو أخذنا التاريخ بالمفهوم المشار اليه سابقا . ويبدو أنه ظهر في فترته لدى عديدين لتوافر العوامل الموضوعية الملائمة لظهوره ، وفي مقدمتها تراكم الى الحد الكافي في المعلومات التاريخية ، مثل المعلومات عن الرجال والحوادث بالنسبة للفترة الاسلامية من تاريخ الاندلس ، وكذلك اخبارها قبل الاسلام بنتاج ما ألفه وترجمه بعض المستعربين عن أيام القوط ومن سبقهم .

العلوم القديمة :

وهي بمفهوم العرب المسلمين تلك العلوم الداخلة ضمن اطار الفلسفة او

الحكمة ، والتي تضم ، عدا الفلسفة بمفهومنا ، مجموعة العلوم الرياضية والطبية والكيميائية . وقد سميت كذلك لاخذ العرب لها من الحضارات القديمة ، وخاصة اليونانية . كانت هذه العلوم مكروهة في الاندلس لدرجة انهم لم يتجردوا للبحث فيها الا في اواسط القرن الثالث الهجري ، وابقوا عملهم فيها في طي السرية والكتمان ، وحصل الانقلاب الكامل تجاهها في عهد الحكم حسب قول صاعد الطليطلي « ثم لما مضى صدر من المائة الرابعة انتدب الأمير الحكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر ، وذلك في ايام ابيه ، الى العناية بالعلوم والى ايثار اهلها واستجلب من بغداد ومصر وغيرها من ديار المشرق عيون التآليف الجليلة والمصنفات الغريبة في العلوم القديمة والحديثة .... فكثر تحرك الناس في زمانه الى قراءة كتب الاوائل وتعلم مذاهبهم » (٣٨) .

لقي العاملون في هذا المضمار لدى الحكم ما لقيه غيرهم من العلماء في المجالات الاخرى من التقريب والحظوة ، الا انه قربهم تحت ستار كونهم اطباء ، اما من لم يعرف منهم بالطب فقد ابقى نفسه على مسافة منه ، كما هو حاله مع عبد الله بن محمد المعروف بالسرى ، المبرز في علوم العدد والهندسة وينسب اليه العلم بصناعة الكيمياء ، وكان الحكم يعظمه ويؤثره ويروم الاستكثار منه فيقبضه عنه ورعه ويكفه عن مداخلته زهده . وقد انشأ الحكم للباقين المعروفين بالطب ديوانا يشرف على نفقاتهم كل بحسب مرتبته . ويظهر ان عطاياه لهم كانت كبيرة لدرجة ان العديدمنهم كانوا اصحاب وظائف عالية في مجالهم بالمشرق فقدموا الى موطنهم الاندلس والتحقوا بخدمة الحكم ، ومن مشاهيرهم احمد وعمر ابنا يونس الحراني، اللذان اتما تحصيلهما في العراق ثم عملا بخدمة رجال السلطان ببغداد ، ثم قدما على الحكم وبقيا في خدمته حتى الوفاة ، وقد خلف الثاني منهما ما تزيد قيمته على مائة الف دينار . تابع هؤلاء الاطباء المقربون للحكم عملهم في مجالات عملهم ، بعضهم يعمل في الفلسفة والمنطق وبعضهم الاخر في الهندسة والحساب ، كما ان ابني الحراني اقاما داخل سكنهما بمدينة الحكم الملكية الزهراء معملا صغيرا لتركيب الادوية . ويروي عن ابن جلجل انه رأى لاحمد الحراني فيه « اثني عشر صبيا صقالبة ، طباخين للاشربة صناعين للمعجونات بين يديه . وكان قد استاذن امير المؤمنين المستنصر ان يعطي منها من احتاج من المساكين والمرضى ، فاتاح له ذلك» (٣٩) .

يلاحظ من تتبع اسماء المقربين للحكم في مضمار العلوم القديمة ان اغلبهم قد اكملوا علمهم في المشرق ، حيث تطورت هذه العلوم اثر ترجمة اصولها الى العربية ، ويبدو ان الحكم اراد للاندلسيين الاطلاع على الاصول القديمة من يونانية ولاتينية مباشرة وتبلور الشكل الذي اخذه هذا المسعى ، بالطريقة التي اتبعها في ترجمة كتابين ، احدهما يوناني والاخر لا تيني ، يقال انهما وردا ضمن هدية من امبراطور بيزنطة لبلاط

الخلافة في قرطبة . الكتاب اللاتيني هو « كتب التاريخ السبعة في الرد على الوثنيين» الفه باولوس اوروزيوس ، المحرف في الرواية العربية الى هيروشيش ، ويعرف « بانه تاريخ للروم عجيب فيه اخبار الدهور وقصص الملوك الاول وفوائد عظيمة ». يورد ابن خلدون ان الكتاب قد ترجم للحكم المستنصر من قبل كل من قاضي نصارى قرطبة وترجمانهم فيها ، وقاسم بن اصبع شيخ العصر . ويبدو ان الاول كان ينقل الفكرة من اللاتينية الى العربية او العامية الاندلسية ويقوم الثاني بصياغتها صياغة عربية سليمة .

وقد شك الباحث الايطالي ج.ليفي دي لافيدا بأن تكون القسطنطينية مصدر المؤلف التاريخي اللاتيني ، لكن احدا لم يشك باصل الكتاب الثاني وهو لديسقوريدس اليوناني ، ويحتوي على الحشائش الطبية ، يضاف اليها حسب قول ابن جلجل «صور الحشائش بالتصوير الرومي العجيب ». ولم يكن هذا الكتاب مجهولا بالاندلس ، اذ حوت مكتبة القصر ترجمة مشرقية له انجزت زمن المتوكل العباسي . لكن فائدتها بقيت محددة لان اسماء اعيان الحشائش في المشرق لا تطابق دائما اسماءها الاندلسية ، اضف الى ذلك ان المترجم المشرقي لم يعرف اعيان بعض النباتات فتركها على شكلها اليوناني « عسى ان يتعرف عليها غيره(٤٠) . شجع الحكم عملية ترجمته من جديد ، وطلب من امبراطور بيزنطة ان ينفذ اقتراحه بايفاد عارف باليونانية من بلاطه ، فاوفد الراهب نقولا الذي انضم اليه فريق اندلسي بينهم عارفون باللاتينية واطباء وعلماء نبات ولغويون . واستمر العمل به امدا توفي خلاله نقولا الراهب ، الا انه تيسر للاندلسيين عارف باليونانية من مسلمي صقلية . وانجز العمل بدرجة من الاتقان كافية ، اذ استطاع العاملون التعرف على « اشخاص » الحشائش العقاقير في كتاب ديسقوريدس بمدينة قرطبة ونواحي الاندلس ، ولم يبق دون معرفة الا حوالي عشرة ادوية .

اسهام الحكم في الحياة العامية والرؤية الموجهة لسياسته فيها

لعل اول اسهام له كان التمويل وتقديم عطايا للعاملين بلغت ضخامتها حدا جعل بعض اعلام المشارقة يشدون الرحال اليه متحملين مشاق الرحلة الطويلة والبعد عن الاوطان . وتبع التمويل تيسير سبل العمل بتهيئة المكان المريح الملائم وتأمين المكتبة والسماح بالرجوع لوثائق دواوين ادارته . وقد لا يبدو الحكم ضمن هذه الحدود متميزا عن غيره من الخلفاء والسلاطين المسلمين ، اذ انهم اولو أمر في دول اسلامية والاسلام يحض على طلب العلم ، أضف الى ذلك ان تجمع العلماء في بلاط ما يخلق حول الحاكم هالة من العظمة ، اذ لا يخلو ان يكون بينهم شاعر او شعراء يتغنون بامجاده ومؤرخ او مؤرخون يسجلون ما هو مشرق من احداث حكمه .

لكن الحكم تجاوز غيره بكثير من نواح عدة ، منها انفتاحه وتسامحه ، كما تجلى لنا ذلك من تقديمه للعلماء من مذاهب اخرى غير المالكيـــة ، وكذلك في انفتاحـــه على العلوم القديمة ، لكن هذا التسامح لم يكن مطلقا ولا يصل لحد السكوت عمن يتهم في دينه من العلماء . لذلك نراه يبعد فقيها شافعيا قد آواه في بلاطه ، عندما نمي اليـــه انه على مذهب الاعتزال .

مما تميز به الحكم عن غيره ايضا انه شارك في التاليف كتابة وتخطيطا ومراجعة. كتب في الانساب والرجال ، اذ ينسب اليه ملحق لكتاب « قضاة قرطبة » للخشني ، وكذلك تعليقات كثيرة على بعض كتب مكتبته تناولت حديثا عن اطبـــاء ايضا ، وتبـــدو انه كان متقنا لما يكتب كثير التحري عن صحته ، اذ تتردد كثيرا لدى مؤلفين عاشوا بعد عصره وزوال حكم اسرته جملة « قرات ذلك بخط الحكم المستنصر وقوله حجة عندنا بالاندلس » . وفي حالة وضعه مخططا للؤلفات اتخذ تخطيطه اكثر من شكل ، فاحيانا يكون تحديدا دقيقا ، كما هو الحال في طبقات النحويين للزبيدي الذي يقول في مقدمته « الفت هذا الكتاب على الوجه الذي امرني به امير المؤمنين اعزه الله واقمته على الشكل الذي حده ، وامدني ابقاه الله في ذلك بعنايته وعلمه ووسعني من روايته وحفظه » . واحيانا يكون التخطيط عبارة عن تحديد الهدف والغاية فقط من الكتاب والاكتفاء بوضع الاطار العام ، كما يظهر ذلك في كتاب « قضاة قرطبة » للخشني ، الذي يقول في هذا الصدد « ان الحكم منطلقا من الرغبة في حفظ العلوم ومطالعة الاخبار وفي معرفة النسب وتقييد الآثار ، وفي الاشارة لفضائل الســـلف والتقليد لمناقـــب الخلف وفي التذكير بالمنسي من الانباء والاشارة للسالف من القصص وبخاصة ما كان في مصره قديما وفي عصره حديثـــا وقد امر بتأليـــف كتاب القضـــاة مقصورا على من قضى للخلفـــاء بارض المغرب في الحاضرة العظمى قرطبة ولعمالهم بها من قبل» .

قام الحكم ايضا بمراجعة بعض المؤلفات على الاقل ، ومن الامثلة على ذلـــك انـــه لما اكتمل معجم البارع لابي علي القالي « ورفع اليه اراد ان يقف على ما فيه من الزيادة على النسخة المجمع عليها من كتاب العين فبلغ ذلك الى خمسة الاف وست مائة وثلاث وثمانين كلمة » . وشبيه بهذا ما حدث لمختصر العين الذي قام بـــه الزبيدي « على التصنيف والترتيب اللذين حدهما له . . ارتضى عمله فيه عند تصفحه . . واوصله الى نفسه يومه هذا ففاوضه في عمله الذي برع فيه واستثار له من غوامض فنونه . . » صفوة القول اذن ان النشاط الفكري في بلاط الحكم المستنصر كان موجها من قبلـــه. ويبقى المهم بالتالي تبين رؤيته الموجهة وهل كانت تقليدية ، بمعنى اعطاء قـــوة دافعة فقط لمسيرة الحياة الفكرية وفق الخطوط التي كانت تسير عليها ضمن اطار تقليـــد المشرق . . ؟، يبدو لاول وهلة ان النشاط الفكري ظل على انتاج الانماط نفسها ، كما

يتجلى ذلك في المؤلفات اللغوية والادبية التي تختصر او تعارض تلك المؤلفات التي ظهرت في المشرق . الا ان نظرة اكثر شمولا في الاستقصاء وأعمق في التامل تدل على انظروف الواقع الاندلسي والحاجات المنبثقة عنه كان لها تاثير كبير بحيث كونت تلبيتها الرؤية الموجهة للحكم في توجيه النشاط الفكري ببلاطه .

يمكن اجمال ظروف الواقع الاندلسي بكون الاندلس الموحدة القوية التي تبسط نفوذها على شمال اسبانيا من جهة ، كانت تواجه تحديا خطيرا من الجنوب متمثلا بالفاطميين الذين يسيطرون على جزء كبير من المغرب العربي الاسلامي ويطمحون لاخضاع ديار الاسلام كلها ، بما فيها الاندلس ، لسلطان امامهم الذي اعتبروه الامام الوحيد لها . وقد رد الاندلسيون سياسيا على هذا التحدي باعلان اميرهم خليفة اوحد لديار الاسلام ، من دون الامام الفاطمي في المغرب والخليفة العباسي في المشرق . وفي مواجهة المذهب الفاطمي دعم الخلفاء الاندلسيون المذهب المالكي وفقهاءه ، كما حاولوا ابراز مكانة قاعدتهم وهي الاندلس وجلاء تفوقها لا على المغرب فحسببل وعلى العراق أيضا .

انبثقت الرؤية الموجهة للنشاط الفكري لدى الحكم من ضرورات تلبية حاجات الاندلس ودولة الامويين فيها . وهكذا نرى اهتماما موجها نحو تمجيد وتعظيم الامويين ، اذ يؤلف شيخه وشيخ ابيه قاسم بن اصبغ كتابا في فضائل قريش . علما ان اموي الاندلس ينعتون انفسهم بالقرشيين . كما ان الحكم يجمع اشعار الخلفاء من بني امية في كتاب ، كما يحاول ان يعلي من ذكر اسرته في الاقطار الاخرى فيكافيء من يؤلف عنهم كما هو حالهمع ابي الفرج الاصفهاني صاحب الاغاني ، الذي الف في انساب قومه ومدحهم معه بقصيدة ، وكذلك هديته المالية الى ابيعمر محمد بنيوسف الكندي صاحب كتاب الولاة والقضاة ، الذي الف عن اخر المروانيين مروان الجعدي. وفي الوقت نفسه سدت الحاجة لتمجيد قاعدتهم الاندلس بتلك المؤلفات الكثيرة في الجغرافيا والتاريخ ، التي اعطت صورة عن غناها بالموارد المادية والطاقات البشرية التي عكستها كتب تراجم الشعراء والاطباء والفقهاء والمحدثين . ونظرا لمكانة الاخيرين الدينية بذل الحكم جهدا شخصيا لابرازهم عند المؤلفين المشارقة . فقد الف ابو سعيد عبد الرحمن بن احمد بن يونس المصري تاريخا لاهل الاندلس والمغرب اخذه من كتاب انفذه اليه الحكم المستنصر (٤٢) . اما التاريخ العام فيبدو في الظاهر وكانه تقليد للنمط المشرقي ولا علاقة له بتمجيد الاندلس ، لكن الاطلاع على مضمون المؤلف منه في الاندلس يبين انه يخدم الغرض خدمة وافية ، اذ يتحول هنا لتاريخ للاندلس فقط منذ العصور القديمة ، وبالتالي يعكس استمرارية حكم الامويين من جهة ويجلي عراقتها كقاعدة للملك منذ اقدم العصور . لكن الشعوبيين الاندلسيين استغلوا هذا الفرض ليدسوا في

ثنايا المكتوب ما يبين فضل اهل الاندلس القدماء على العرب المسلمين ، كما يظهر ذلك واضحا من كتاب « تاريخ افتتاح الاندلس » لابن القوطية(٤٣) .

من ناحية اخرى اقتضت ضرورات الصراع مع الفاطميين الى اعتماد الاندلسيين على جملة وسائل ، منها دعم الفقهاء المالكيين والمذهب المالكي واعتبار سير القبائل المغربية بموجب احكامه علامة طاعة لهم . ولم يقتصر دعم الفقهاء على من وجد منهم في الاندلس والمغرب بل تعدى الامر ذلك الى مصر ، حيث كانت الهبات توزع عليهم بمعدل مائة دينار للواحد ، مع مضاعفتها لكبيرهم . ويصب في المجرى نفسه التشجيع الذي رأيناه من الحكم للتاليف حول اقوال مالك ورجاله . وتتضح الغاية الدعائية في الحديث عن رجال المالكية واضحة بجلاء في كتاب الخشني « علماء افريقية » الذي يبدو كتابا ذا طابع موضوعي يعرض لعلماء افريقية كلهم وعلى اختلاف مذاهبهم . لكن تفحصه بشيء من الدقة يوصل الى مكمن الدعاية فيه ، فبينما تقتصر تراجم الغالبية فيه على سطور قليلة من المطبوع نراه يخص سعيدا بن الحداد ، الفقيه المالكي الذي تحلى بالقدرة على الجدل والدفاع عن المالكية ضد الدعوة الفاطمية المعادية بعشرين صفحة ٢٥٧ ــ ٢٧٨ من هذا المطبوع . والاهم من طول الترجمة في تعيين الغاية هو مضمونها ، اذ حوت على وقائع مجادلاته مع احد كبار الدعاة الفاطميين وافحامه له ونقضه للاسس الفكرية التي يقوم عليها مذهبه ، كقضايا ترتيب كبار الصحابة في الفضل ، والامامة بالنص والامر الالهي لا باختيار الناس ، وامامة المفضول مع وجود الافضل . وبذلك يكون الخشني قد بث بين مطالعي الكتاب تسفيهالفكر الفاطميين. من الجوانب الفكرية التي شجعها الحكم تلك التي تخدم ضرورات سياسته الخارجية القائمة على فرض الهيمنة وبسط النفوذ في المغرب وشمال اسبانية . ففي المنطقة الاولى كان يحارب الفاطميين باثارة القبائل والقوى الاجتماعية في المدن ضدهم ، وتتحرك رسله عبر المغرب في كل الاتجاهات لتحقيق الفرض ، وبالتالي كان لابد له من معرفته ارضا وسكانا ، وتيسر له ذلك بمؤلفات محمد بن يوسف الوراق القيرواني الموطن ، الذي الف له « في مسالك افريقية وممالكها ديوانا ضخما وفي اخبار ملوكها وحروبهم والقائمين عليهم كتبا جمة وكذلك الف في اخبار تاهرت ووهران وسجلماسة ونكور والبصرة تواليفا حسانا »(٤٤) . اما الشمال الاسباني فكان يعرفه عن طريق مبعوثيه المقيمين ، نظرا لصلات المنطقة مع امراء الفرنجة في غاليا ، فقد تعرف على اخبارهم وملوكهم بواسطة اسقف مدينة جرندة الحدودية بين اسبانيا وغاليا ، الذي ارسل له كتابا بهذا الصدد رأى المؤرخ المشرقي المسعودي نسخة منه بمصر (٤٥) .

ولبى حاجات التنافس مع المشرق ايضا ذلك الجانب من النشاط الفكري في بلاط الاندلس ، المتمثل اولا بانهاء التبعية الثقافية للمشرق ، ويظهر ذلك بنقل الاصول

الفقهية للفقهاء القدماء كالزهري والحسن البصري ، وفي العلوم القديمة بالاطلاع على اصولها القديمة ، لاعبر الترجمات المشرقية بها ، كما رأينا في كتاب ديسقوريدس . ولدينا العديد من المؤشرات الاخرى على رغبة الحكم لا بانهاء التبعية للمشرق فحسب بل التفوق عليه ، فعندما بلغه نبأ انسحاب احد اعضاء الوفد الذي ارسله لاستقبال ابي على القالي وامتناعه عن مرافقته لانهاكتشف له اخطاء فيرواية شعر ، لم يحاسبه الحكم على ذلك بل بارك عمله بقوله « الحمد لله الذي جعل في بادية من بوادينا من يخطيء وافد اهل العراق الينا وابن رفاعة اولى بالرضا عنه من السخط » .

اصابت عدوى منافسة الاندلس للعراق في تبوؤ مركز الصدارة في ديار الاسلام للجماعات الخاضعة منا هل الذمة ، فقد كانت الجماعة اليهودية في الاندلس على سبيل المثال تتبع السلطة اليهودية المشرعة والمدبرة لشؤون اليهود في بغداد ، والتي كانت منذ ايام الساسانيين تضع القواعد والتشريعات الهادفة الى تسيير حياة جماعتها وفق احكام التلمود(٤٦) . وهكذا كان يهود الاندلس « يضطرون في فقه دينهم وسني تاريخهم ومواقيت اعيادهم ليهود بغداد . وفي زمن الحكم قاماحد خدمته في الطب وهو حسداي بن اسحق اليهودي باستجلاب تاليف من المشرق وعلم حينئذ يهود الاندلس ما كانوا يجهلونه واستغنوا عما كانوا يتجشمون الكلفة فيه» (٤٧) .

من هذا كله يمكننا القول ، انه كان لدى الحكم المستنصر رؤية واضحة في توجيهه للنشاط الفكري في بلاطه ، قائمة على جعل هذا النشاط يخدم ويلبي الحاجات المنبثقة من واقع سلطانه وسياسته الداخلية والخارجية .

الحواشـي :

(١) Melchor M.Antuna, **La Corte Literaria de al-Hakam II,** el - Escorial, 1929 .

(٢) ابن حيان القرطبي ، المقتبس ، ج٥ ، تحقيق شالميتا واخرين (مدريد ١٩٧٩) ، ص ٣٢٢ .

(٣) الزبيدي ، طبقات النحويين ، (القاهرة ، ١٩٧٣) ص ٢٨٢ – ٢٨٣ . ابن الابار ، التكملة (ط القاهرة ١٩٦٥) ج١ ، ت ٥٤٨ .

(٤) المقتبس ، تح شذاليتا ، ص ١٤–١٥ .

(٥) ابن الابار ، الحلة السيراء ، تح حسين مؤنس (القاهرة ١٩٦٣) ص ٢٠٦–٢٠٨ .

(٦) القاضي عياض ، ترتيب المدارك ، تح احمد بكير محمود (بيروت) ج–٣٤ ، ص٤٢٠–٤٢١،

(٧) طبقات النعويين ، ص ٢٩٨ – ٢٩٩ و ٢٨٤و٣٠٣ . ابن القرضي ، تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس ، (ط القاهرة ١٩٥٤) ، ت ١٥٤٥ و ١٠٧٠ .

(٨) ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، تح بروفنسال ، ج٢ ، ص ٢٤٠ – ٢٤١ .

(٩) ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، تح بروفنسال ، ص ١٠٠ التكملة ، ت٦٢١ .

(١٠) المقتبس ، تح عبد الرحمن الحجي ، ص ٢١٧ .

(١١) ترتيب المدارك ، ج ٣–٤ ، ص ٥٧ – ٥٧٣ .

(١٢) الحلة السيراء ، ج١ ، ص ٣٠٢ .

(١٣) ابن النديم ، الفهرست ، (ط خياط)، ص ٥٩.

(١٤) التكملة ، ج١ ، ت ٩٨٠ . ابن الفرضي .ت ١٦٣٦ .

(١٥) المقري ، نفح الطيب ، ع محمد الدين عبد الحميد ، (القاهرة ١٩٤٩) ج٤ ، ص ١٠٨ ، تكملة ج١،ت ٥٠٨و٩٣٦ . ابن الفرضي ، ت ٨٨٦.

(١٦) الفهرست ، ص ٤٢ – ٤٣ . الحميدي ، جذوة المقتبس ، تح محمد بن تاويت الطنجي،ت١٧٢ .ابن الفرضي ، ت ١٠٦٢.

(١٧) المصدر السابق ، ت ١٥٩، طبقات النحويين ، ص ٣١٠ – ٣١٤

(١٨) نفح الطيب ، ج٤ ، ص ١١٧ . ابن القرضي ، ت ١٤٠٤و١٤٠٢ .

(١٩) التكملة ، ج١ ، ت ٦٩٩ .

(٢٠) من مؤلفاته التي لم نورد لها ذكرا في المتن « المدود والمقصور » و « فعلت وافعلت » و « حلي الانسان والخيل وشياتها » و « مقاتل الفرنسان » و « تفسير القصائد المعلقات » و « الامثال » . انظر ، طبقات النحويين، ص ١٨٦.

(٢١) جذوة المقتبس ، ت ٣٠٣ ، انباه الرواة ، ج ١،٩٦١، التكملة ، ت ١١٠٤ . ابن خلكان ،وفيات الاعيان ،ج١ ، ص ٧٤. ياقوت الحموي ، معجم الادباء ، ج٧ ، ص ٢٥–٣٢.

(٢٢) المزهر ، ص ٤٤ .البير حبيب مطلق ، الحركة اللغوية في الاندلس ، ص ١٢٠.

(٢٣) المصدر السابق، ص١٤٦–١٦٥.

(٢٤) جذوة الاقتباس ، ت ١٧٢ .

(٢٥) رواية ابن حزم في « جذوة الاقتباس » ، ت ١٧٦ وفي نفح الطيب ، ج٤ ، ص١٦٦ .

(٢٦) طبقات النحويين ، ص ٣٠١–٣٠٢.

(٢٧) ابن خير ، فهرسة ما رواه عن شيوخه (سرقسطة ١٨٩٣) ، ص ٢١٤ ، نفح الطيب ، ج٤، ص١٦٤ جذوة الاقتباس ،ت ٩١٥ .

(٢٨) ترتيب المدارك ، ج٣-٤ ، ص ٦٣٤ - ٦٣٥ و ٤٤٠ - ٤٤١ . ٤٣٦-٤٣٧ .

(٢٩) الف محمد بن هشام المرواني كتاب « اخبار الشعراء » وقاسم بن سعدان كتاب «فقهاء ريه » وابو اسحاق الباجي « رجل باجه » و « فقهاء باجه » واحمد بن عبد البر « فقهاء قرطبة » والف ابن عبد البر « فقهاء قرطبة » والف ابن عبد البر الكشكيناني « فقهاء وقضاة قرطبة » .

(٣٠) من كتبه الاخرى التي الفها للحكم « فقهاء المالكية » و « التعريف » و « المولد والوفاة » و « النسب » و « الاقتباس » .

(٣١) J.Ribera, al-Jusani, **Historia de los Jueces de Cordoba,** PPXXII - XLIII .

C. Sanchez. Albornoz, **En Torno a los Origenes del Feudalismo** (Buenos-Aires 1977) T.II, PP 162-166.

(٣٢) ابن بشكوال ، الصلة ، ت ١٣٦٧ . ابن القرضي ، ت ١٤٤٣ . ابن الخطيب ، الاحاطة فياخبار غرناطة ، تح عبد اللهعنان ،ج١ ، ص ٣٢٠ .

(٣٣) ابن القرضي ، ت ٢٣٨ . جذوة الاقتباس ت ٣٠٥ . نفح الطيب ، ج ٢٤، ص ١٦٦. المقتبس ،تح شالميتا ،ص٤٦ و ٢٧٤-٢٧٨ .

(٣٤) المقتبس ، تح محمود مكي ، ص ١٦٥ - ٢٦٩ . التكملة . ت ١٨٥ ، جذوة الاقتباس،ت١٧٤ .

(٣٥) Pons Poigues , **Historiadores Y Geografos Arabigo - Espanoles** , Madrid 1898 PP. 62- 66.

C.Sanchez Albornoz , **En torno** .. PP. 115-158.

(٣٦) محمد بن عبد الملك المراكشي ، الذيل والتكملة، تح محمد بن شريفة ، ق١،ص٢١٢-٢١٣ .

(٣٧) Levi Provencal , **Historia de Espana, Mosulmana,** (Madrid 1957) , P,137-135.

(٣٨) صاعد الطليطلي ، طبقات الامم ، ص٨٤و ٨٦.

(٣٩) ابن ابي اصيبعة ، طبقات الاطباء ، ص ٤٩٢ - ٤٩٣ و٤٨٧ .

(٤٠) حسين مؤنس ، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الاندلس ،ص ٣٠-٣٩.

(٤١) محمد بن حارث الخشني ، قضاة قرطبة ، نشر الحسيني ، ص ١٠ .

(٤٢) ابن القرضي ، ص ٩-١٠ .

(٤٣) J,Ribera, **Disertaciones Y Opusculos** (Madrid 1956), T.I,PP 119-129.

(٤٤) التكملة ، ت ٩٩٦ و ١٧٧ .

(٤٥) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص٢-٨ .

(٤٦) Michael Morony, **Iraq After the Muslim Conpuest** , Oxford 1983, PP . 306-314 .

---

(٤٧) ابن ابي اصيبعة ، طبقات الاطباء ، ص ٤٦٨ .